



يواجه إخواننا في الشام اليوم حملة ضاربة، من القوى المجرمة المتحالفة، من الروس والأmericans...، يجمعهم العداء للإسلام، والخوف من انتصار المسلمين، وتكونن قوة تهدد وجود دولة اليهود. إلى جانب أطماعهم في فرض سيطرتهم على بلاد الشام. ورغم تفوق الأعداء في العتاد والكثرة، إلا أن ذلك ليس كفيلاً برجحان كفتهم وانتصارهم. فأشبه ما يكون حالهم بحال الأحزاب من قريش وغطفان واليهود الذي قصدوا القضاء على المسلمين في المدينة، فكانت عاقبة ذلك الجمع والحصار الشديد كما قال الله تعالى: {وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْطِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا}. وقد جرت العادة أن من يقاتل دفاعاً عن نفسه وعرضه وبلده أن يكون أكثر صبراً، وأشد شकيمةً وحماساً من الغازي المعتمدي.

إخواننا في الشام لديهم من الثقة بالنصر مالا يملك العدو منه شيئاً، ألا وهو وعد الله المؤمنين بالنصر على الأعداء. ولكن من حكمته عز وجل أن ربط الأسباب بمسبياتها، ومن ذلك أنه جعل للنصر أسباباً من استكمالها؛ فقد استحق النصر. فالواجب على الإخوة المجاهدين في سوريا أن يستجلبوا نصر الله بأساليبه الشرعية، وهم يعلمون هذا الأمر ويدركونه جيداً، ولكن من باب التذكير أشير هنا إلى أهم هذه الأسباب:

أولاً: تقوى الله عز وجل، والإيمان به، المتمثل في القيام بكل ما أوجب تعالى على عباده من طاعته، والحذر من معصيته؛ فلمتى فعلوا ذلك؛ فقد استحقوا النصر الذي وعد سبحانه في قوله: {وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}. ثم بين سبحانه من هو

الموعود بالنصر، وما هي الأسباب التي يستنزل بها نصره. "فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُتَبَّعُ أَقْدَامَكُمْ} فمتي نصروا ربهم؛ نصرهم على أعدائهم، وثبت أقدامهم، وعصمهم من الفرار والهزيمة. كما أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، وبين في بعضها صفات الذين وعدهم بهذا النصر كقوله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَكَوْيٌ عَزِيزٌ} ثم بين صفات الموعودين بهذا النصر في قوله تعالى بعده {الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّا هُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}. (أضواء البيان 7/451) والمراد بقوله {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهُ}، "القيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره..". (تفسير ابن سعدي 4/1654)

وثاني هذه الأسباب: إعداد القوة، كما أمر الله بذلك في قوله: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ..}. فقوله "ما استطعتم من قوّة" أي كل ما تستطيعون إعداده من القوة. وفيه إشارة إلى السعي في تحصيل كل ما يمكن من السلاح والمال، ووحدة الصف واجتماع الكلمة.

ثالثها: الصبر، فقد وعد الله المؤمنين إن صبروا في مواطن القتال، وصابروا ورابطوا، وعدهم النصر فقال سبحانه {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَاتَلَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِنْ دِنَّ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}. وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. ومع ذلك فيجب الثقة بوعد الله والتوكيل عليه مهما كان جمع العدو فإن الله هو مولى المؤمنين وناصرهم يقول تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}. ويقول: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَأَنَّقُوا أَجْرًا عَظِيمًا * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ}.

وأخيراً: فهذه بشاره لأهل الشام يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "... لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يُزبغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم: ويرزقهم الله منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. ألا إنْ عُفْرَ دار المؤمنين الشام..". (النسائي وابن حبان وأحمد . الصحيفة للألباني: 1935)